دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، شتاء ۱۳۹۴، العدد الثامن والعشرون: صص۹۱- ۱۰۸

دراسة أسلوبية فی سورة القدر وفق نظرية دسوسور

فاطمه بختیاری*

بتول مشکین‌فام**

تاریخ الوصول: ۹۴/۲/۲۴

تاریخ القبول: ۹۴/۵/۹

الملخص

یتناول هذا البحث دراسة «سورة قدر» وفق المنهج الأسلوبی ودراسة مواطن الجمال الفنی الکامنة وراءها، وأخص بالذکر هنا الدراسة الاسلوبية المتعلقة بالمستويات الدلالية والصوتية والترکیبية وسيلة فی التحليل النص الأدبی، والکشف عن بنيته العميقة ذروة سنامه الوصول إلی دراسة تطبيقية للسورة من وجهة النظر *دی سوسر* و أثرها فی نفس المتلقی. المستوی الصوتی فقد ساهم مساهمة فعالة فی إيضاح المعنی من خلال جرس الحروف والفاصلة القرآنية، والموازنات الصوتية. أمّا لدلالات اللغوية فی سورة القدر فلها دور واضح فی توصيل المعنی،کما نجد للدلالة الترکیبية الأثر الواضح فی إيراد المعنی. والجمل الإسمية فی هذه السورة مکتنزة بالدلالات التی تصب لخدمة مکانة ليلة القدر.

الکلمات الدليلية: سورة القدر، الاسلوبية ومستوياتها الترکيبية، الصوتية، الدلالية.

* طالبة الدکتوراه فی فرع اللغة العربية فی جامعة الزهراء(س)، تهران.

** أستاذة مشارکة فی جامعة الزهراء(س)، تهران.

الکاتبةالمسؤولة: فاطمه بختیاری

المقدمة

هناک بعض تشکیلات اللغوية القرآنية تسهم فی تقديم معرفة جديدة للباحثين فی جوانب اللغوية والاسلوبية وبعض جوانب الإعجاز للقرآن. يعود السبب لإختيار الاسلوبية والاستعانة بها لما لها من مزايا تتعلق باستنتاج الدلالة المبنی علی التکرار الظواهر اللغوية، ومزايا أخری تتعلق بسبر اغوار لغة النص وعدم الوقوف علی ظاهرها؛ ونظرا لأن سورة القدر لم تقع عليها دراسة أسلوبية مستقلة جاءت هذه الدراسة لتحاول الکشف عن الأسرار البلاغية القرآنية من خلال دراسة هذه السورة دراسة أسلوبية بمستوياتها الصوتية، الترکيبية والدلالية من خلال السؤال التالية: هل يوجد فی سوره القدر أنماط أسلوبية تختص بها، إذ يبدو للسورة مظهر خاص يميزها عن غيرها؟

أهداف الدراسة

إنّ الدراسة الأسلوبية استکشاف ما فيه من جوانب جمالية، وذلک بما تتيح للدارس من قدرة علی التعامل مع الإستخدامات اللغوية، ودلالاتها فی العمل الأدبی، وبهذا التفاعل مع الخواص الأسلوبية المميزة المکتشفة بطريقة علمية سليمة تتضح مميزات النص وخواصه الفنية(عودة، ١٩٩۴ م: ١٠٠).

ومن هنا يأتی اختيارنا للمنهج الأسلوبی وسيلة نستطيع من خلالها النفاذ إلی عمق النص القرآنی، بما يحمله هذا المنهج من إمکانيات دراسية تحليلية عميقة، ورصد جماليات النص.

تسعی هذه الدراسة إلی محاولة إدراک الخصائص الفنية للغة القرآن من خلال سورة القدر ورصد الظواهر اللغوية والاسلوبية للسورة، ودراسة بعض المظاهر الاسلوبية دراسة تطبيقية لاستجلاء ابعادها والکشف عن قيمها البلاغية والتعبيرية وجملة الأمر أن هذه الممارسة الاسلوبية تسعی إلی توضيح طرائق التعبير فی السورة.

أهميه الدراسة

إن أهمية الدراسه تکمن فی حاجه المکتبة اللغوية إلی مثل هذا اللون من ألوان الدراسة ليعين الدارسين والقراء، للتعرف علی الإعجاز اللغوی فی القرآن الکريم والإطلاع عليها فی

دراسات مختصة بعينها. أمّا بالنسبة للكتب مؤلفة فى هـذا المضـمار قـد ظهـر لعـدد مـن الدراسين اللغويين بحوث فى هذا الميدان الذى مايزال جديـداً فـى اللغـة العربيـة، فـألف بعض الأساتذة دراسات قصروها على الأسلوب وعلـم الأسـلوب نظـراً وتطبيقـا مـن ذلـك: «الأسلوب والأسلوبية» تأليف *عبد السلام المسدى* (١٩٧٧م)، «البلاغة والأسـلوب» تـأليف *محمد عبدالمطلب*، «علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته» *للدكتور صلاح فضـل* والـذى يعـين الباحث على مباحث نظرية فى هذا المضمار.

خلفية البحث

أما بالنسبة إلى الدراسات السـابقة لهـذا الموضـوع فهنـاك دراسـات أسـلوبية ولغويـة مختلفة فى بعض السور منها: «دراسة أسلوبية فى سورة الكهـف» للباحـث *مـروان محمـد عبد سعيد عبدالرحمن* (٢٠٠٦م)، «ظـواهر اسـلوبية وفنيـة فـى سـورة النحـل» *لأسـامة عبدالمالک ابراهيم عثمان* (٢٠٠١م)، «دراسة اسلوبية فى سورة مـريم»، «سـورة الواقعـة؛ دراسة اسلوبية» إعداد *بلال سامى إحمود الفقهاء* و«دراسة أسلوبية فى سـوره ص» إعـداد *نصرالله شاملى* و«التقنيات البنيوية فى سورة القـدر» إعـداد *ثـائر سـمير حسـن الشـمرى الدجيلى*؛ وفى هذه الدراسات بحثوا عن سـور المختلفـة ماعـدا مقالـة التقنيـات البنيويـة والباحث يتحدث عن البنيوية فيهـا. لـذلک هـذا البحـث يسـعى الكشـف عـن خصـائص الأسلوبية فى سورة القدر على أساس نظر *دى سوسور*.

الأسلوب والأسلوبية

يكثر تردد مصطلح الأسلوب"Style Ly " والأسلوبية" styli stie " فى الدراسات الأدبية واللغوية الحديثة، وبشكل خاص فى علوم النقد الأدبى والبلاغه وعلـم اللغـة. يعـود الفضـل إلى جاكوبسون والشكلانيين الروس معه فى وضع الأسلوبية عنـد نقطـه التقـاء اللسـانيات بالنصوص الأدبيـة، أى فـى مركـز تقـاطع مجموعـة مـن المفـاهيم والمنـاهج المتطـورة ومجموعة من الإنتاجات محددة من حيث الشكل والمضمون والأثر علـى الملتقـى. ومنـذ اللحظة التى عرفت فيها اعمال *جاكوبسون* والشكلانيين الروس أصـبحت الأسـلوبية علمـا منهجيـا يقـوم علـى مبـدأ البنيويـة وهـى لـم تتـرک هـذا المبـدأ حتـى أيامنـا

هذه(مونينيه،٢٠٠٦م: ١٣). فيما بين ١٩٦٨ و١٩٧٥م ظـن نقـاد الأدب أن الاسـلوبية قـد زالت من الوجود. لكنّها كانت حاضرة فی بعض الدراسات الأدبية. ثم شهدت تحولاً جـذريا مع انتشار الدراسات اللسانية وما تبع من هيمنة المنهجيات البنيوية فـی ميـادين العلـوم الانسانية(نفس المصدر: ٧).

يعد رائد منهجية جديدة فی دراسة الأسلوب الأدبی فی العصر الحديث *جورج مونينيـه* وهی منهجية تجمع بين التحليل الأدبی والفكر اللغوی - اللسـانی والمفـاهيم البرغماتيـة والفلسفية وغيرها من النظريات الحديثة التی شهدتها الساحة الفكرية والنقديـة فـی هـذا القرن(نفس المصدر: ٢٧).

يعترف كثير من الباحثين بأن هذه الكلمة لا يمكن أن تعـرف بكيفيتـه مُرضـية، وقـد يكون ذلک راجعاً إلی مدی رحابة الميادين التی صارت هذه الكلمة تطلق عليها إذ أصـبح يطلق إسم "علم الأسلوب" علی أنواع شتی من الدراسات ولعل الأمر المشترک بينهـا هـو أنها تعنی بشكل من أشكال التحليل اللغوی لبنية النص؛ فالتعريف قائل «بأن الأسلوب هو أية طريقة خاصة لإستعمال اللغة بحث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب أو مدرسـة أو فترة زمنية أو جنس أدبی ما» يبدو تعريفاً استحسـنه وقبلـه الكثيـرون وإن عبـر عـن مضمونه بألفاظ مختلفة فی المقابل ذلک يمكن تعريف الأسلوبية بأنها فرع من اللسـانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو الإختيارات اللغوية التـی يقـوم بها المتحدثون والكتّاب فی السياقات غير الأدبية(ابو العدوس، ١٩٩٩م: ١٦١).

وعلی هذا الأساس يمكن القول بأن الاسـلوبية هـی طريقـة خاصـة يقـوم بهـا الكاتـب بواسطة ما يدور فی ذهنه وبواسطتها ينتقل المضـامين والأفكـار إلـی المتلقـی. وإذا كـان النقد الأدبی يبحث فی المعانی والأفكار وفی الخيال والعاطفة فی التجربة الشعرية والصدق الفنی، وكل من هذه الأمور التی تدخل فی "المضمون" فی الـنص الأدبـی ومحتـواه فـإن الشكل "Form" هو الموضوع المناسب للدرس فی علم الأسلوب وعلم اللغة. وتحت الشكل نضع النحو والصرف والألفـاظ والأصـوات اللغويـة وخصـائص الأداء الأخری(عبـدالله جبـر، ١٩٨٨م: ١١)

إتجاهات الأسلوبية

على أن مصطلح الأسلوبية لم يظهر إلا فى بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة، منها ما قدمته عالم اللغة السويسرى *فرديناند دى سوسور* التى ضمت مجموعه من اللغويين الفرنسيين، ورفضت اعتبار اللغة جوهراً ماديا خاضعا لقوانين العالم الطبيعى الثابتة إذ أنها خلق انسانى، ونتاج لروح البشرى تتميز بدورها كأداة للتواصل ونظام للرموز المخصصة لنقل الفكر فهى مادة صوتية لكنّها ذات أصل نفسى اجتماعى(صلاح فضل،١٩٩٢: ١٠)؛ وتأسيساً على ذلك نشأ إتجاهان فى علم الأسلوب أحدهما يتمثل فى علم أسلوب التعبير ويدرس العلاقة بين الصيغ والفكر فى عمومه وهو الذى ربما كان يقابل بلاغة الأقدمين. الثانى وهو علم الأسلوب الفردى وفى واقع الأمر نقد للأسلوب بدراسة علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة التى تبدعه وتستخدمه ومن هنا دراسة توليدية وليست تقيميه، وهو مما يجعل محورها مختلفاً عن محور مدرسة الأولى فعلم أسلوب التعبير لا يخرج عن نطاق اللغة ولا يتعدى وقائعها فى حد ذاتها.

أمّا علم الأسلوب الفردى هو يدرس نفس هذا التعبير فى علاقته بالأشخاص المتحدثين به، الأول يعتد بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوى أى أنه وصفى بحت والثانى يحدد بواعثها وأسبابها أى أنه توليدى، الأول يهتم بالنتائج ويتوقف على علم الدلالة ودراسة المعانى فى ذاتها والثانى يعنى بالمقاصد ويرتبط بالنقد الأدبى(الخفاجى، السعدى فرهود، عبدالعزيز شرف، ١٩٩٢م:١٣). يبدو أن الإتجاهين يستخدمان الأسلوبية بمعنى واحد، لأنها يدرسان اللغة من جهة ومن جهة أخرى يهتمان بالمقاصد التى يهدف الكاتب أو الشاعر من وراء نتاجه.

مستويات الاسلوبية

تتحدد مستويات التحليل الأسلوبى من خلال التعريف الذى وضعه *دى سوسير* للكلام: «الكلام تطبيق أو استعمال للوسائل والأدوات الصوتية، والتركيبية والمعجمية»، التى يوفرها اللسان فيما يلى:

١.الصوت(أو الإيقاع): تقع الدراسة الصوتية فى صميم الدراسة النصوص الأدبية، لأن التحليل الصوتى لهذه النصوص - بما فيها من أصوات وإيقاعات - يساعد كثيرا فى فهم

طبيعتها، وفى الكشف عن جوانب الجماليه فيها، بالإضافة إلى ما فيها من كشف للإنفعالات النفسية وللعواطف التى تحكم مبدعها وتدفعه إلى اختيار أصوات وايقاعات بعينها و «ليس يخفى أن مادة الصوت هى مظهر الإنفعال النفسى وأن هذا الإنفعال بطبيعته، إنما هو سبب فى تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدّاً أو غنة أو لينا أو شدة»(الرافعى، ١٩٩٧م:١٦٩).

٢.التركيب: وهو عنصر مهم فى بحث الخصائص الأسلوبية كدراسة طول الجملة وقصرها وعناصرها مثل المبتدأ والخبر، الفعل والفاعل، الصفة والموصوف وكذا ترتيبها، ودراسة الروابط مثل الواو، والفاء، وما، والتقديم والتأخير، والتذكير والتأنيث والتصريف.

٣.الدلالة: يهتم علم الدلالة بـ«الجانب المعجمى»، وما تدل عليه الكلمات، مع تتبع لمستجدات المعنى الذى يلحق بتلك الدلالات، أو ما يدفع - بسبب التطور- إلى أن يتبدل ما تشير إليه تلك الكلمات أو سواها. ومن الممكن متابعة الدلالة من خلال النظام اللغوى الذى يتميز بخصائصه النحوية والصرفية، والتى تشكل لهذا النظام بنيته الخاصة به. وعليه فإن الباحث فى الدلالة عليه أن يبحث فى تلك العلاقة التى تربط الدال بمدلوله فى النص من خلال السياق، وبالتالى فهم وتحديد الدلالة السياقية إن كانت دلالة مباشرة أو تحمل دلالات إيحائية أو تأويلية أخرى(الحقل الدلالى).

مفتاح من أكبر النقاد حديثا عن الخطاب الشعرى لكنه يستعمل المصطلح مرادفاً للنص نفسه فمكونات الخطاب الشعرى عنده هى المواد الصوتية، والمعجم، والتراكيب والمقصدية(مفتاح، ١٩٨٢م:١٨)؛ وهى مكونات النص نفسها. إذ تضم المواد الصوتية، جرس الحروف والتنغيم بالنبر والايقاع والوزن والقافية. يضم المعجم معانى الكلمات وايحاءاتها و يعنى التركيب مستوى النص النحوى والبلاغى. أما المقصدية فتعنى الهدف والقصد من العمل. وتحدد كيفية التعبير والغرض المتوخى(نفس المصدر: ٥٢).

يمكن أن نقول فى النهاية فى ميدان الأسلوبية أو علم الأسلوب Stylistics أضافت نظرية *تشومسكى* بعداً جديدا وعميقا إلى الدراسات الأسلوبية. التحليل الأسلوبى من مفهوم خاص للأسلوب وهو أن الشاعر أو الكاتب يستخدم أنواعاً معينة من التحويلات فى لغته وبخاصة التحويلات الاختيارية بحيث تصبح هذه التحويلات مميزاً أسلوبيا عنده، لأن هذا الإختيار دون غيره وإلحاح الكاتب أو الشاعر على استخدامه من بين مجموع الطاقات

التحويلية الكامنة فی النظام اللغوی، إنما هو أصلاً استغلال لطاقات اللغة التی يستخدمها ولكن بتحولات معينة(حلمی خليل، ۱۹۹۵م: ۳۳-۳۵).

تطبيق المستويات الأسلوبية علی سورة قدر

سميت هذه السورة فی المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة القدر» وسماها *ابن عطية* فی تفسيره «سورة ليلة القدر» وهی مكية فی قول الجمهور. كان من أغراضها التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلی الله، والردّ علی الذين حجدوا أن يكون القرآن منزلاً من الله تعالی ورفع شأن الوقت الذی أنزل فيه، ونزول الملائكة فی ليلة إنزاله وتفضيل هذه الليلة التی توافق ليلة إنزاله من كل عام(ابن عاشور،۱۹۸۴: ج ۳۰، ۴۵۶).

المستوی الصوتی

لا ينكر عاقل أثر الموسيقا والنغم فی شدّ المتلقی وجعله أكثر إنتباها وأشدّ إصغاء، بل أن موسيقا الشعر هی أجمل ما فيه من عناصر. ويبدو الايقاع الموسيقی واضحاً فی القرآن الكريم، و لكن لهذا الايقاع طريقته الخاصة التی تختلف عن الشعر المقيد بالأوزان والقوافی فهو خاص بالقرآن وحده؛ «إذ هو ايقاع فی نطاق التوازن، لا إيقاع فی نطاق الوزن، فالوزن فی العربية للشعر والتوازن فی الايقاع للنثر والذی فی القرآن ايقاع متوازن لا موزون»(حسان تمام، ۱۹۹۳م:۲۶۹).

إذن يؤدی هذا الايقاع دوراً فاعلا فی تكثيف المعنی وزيادة طاقاته التعبيرية من خلال إنسجامه مع أجواء النصوص ومعانيها حيث يعبّر القرآن عن المعانی بالألفاظ، ويختار من هذه الألفاظ ما كانت أصواتها متناغمة مع معانيها ومجسّدة لها وهكذا يكون «النسق القرآنی قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً. فقد أعفی التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلک حريه التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ فی الوقت ذاته من الشعر الموسيقا الداخلية والفواصل المتقاربة فی الوزن»(سيد قطب، ۱۹۸۳م:۱۰۲).

الموسيقى النابعة من تردد الأصوات

يسهم التكرار فى السورة - سواء أكان تكراراً للحرف أو الكلمة أو التركيب- فى تشكيل الأنغام الحسنة ويزيد من الإيقاع الجميل والمتميز فى آياتها ويكسبها إنسجاماً موسيقيا.

استخدم تكرار التركيب ﴿وماأدراكماليلةالقدر﴾ على خلاف مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر بالإضمار سبب ذكر «فى ليله القدر» فى الآية الأولى، إن الله تعالى قد إستفاد من عناصر البلاغى منها الإظهار مقام الإضمار وعكسها بسبب بيان شأن ليلة القدر والتأكيد عليها؛ وإظهار لفظ ليلة القدر ﴿ليلةالقدرخيرمنألفشهر﴾ فى مقام الإضمار للإهتمام؛ وقد تكرر اللفظ ثلاث مرات والمرات الثلات ينتهى عندها التكرير غالباً. فقصد الإهتمام بتعينها فحصل تعظيم ليلة القدر صريحاً وحصلت كناية عن تعظيم ما أنزل فيها وأن الله أختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان(ابن عاشور، ١٩٨٤:ج٣٠، ٤٥٨ - ٤٥٩).

الموسيقى النابعة من التكرار فى التركيب المذكور - أربع مرات- سواء على اسم الظاهر وسواء على أساس الضمير تدل على عظمة هذه الليلة الكريمة وتلذذ فيها.

الموسيقى النابعة من الفاصلة القرانية فى سورة القدر

تؤدى الفاصلة دوراً مهما فى أحداث التناغم الموسيقى والتلوين الصوتى. إذ تنقسم الفاصلة فى هذه السورة على نسق واحد لتعبر عن المعنى الذى يحمله ذلك النسق. إذا نجد إرتكاز النسق على حرف «الراء» الساكن وتتردد هذه الفاصلة فى كل الآيات. إن حرف الراء من الحروف الذلقية ومتوسط بين الشدة والرخاوة كما يدل على التكرار والترجيع(حسن عباس،١٩٩٨م: ٤٦،٨٣) وجاء الفاصلة القرآنية بهذا الحرف ليدل على التكرار فى القدر أى إنه قدر قدر قدر(بمعنى إن هذه الليلة كلها خير وبركة وشرف).

كان *إبن جنى* من العلماء الذين أشاروا إلى علاقة الأصوات بمعانيها، إذ يقول: «من أسرار الأصوات أن هناک علاقة طبيعية بينها وبين معانيها، ومن ذلک الخاء والقاف ... نحو قولک خضم وقضم إذ أن الخضم أكل الرطب والقضم للصلب اليابس، لرخاوة الخاء وصلابة القاف»(ابن جنى، لا.ت، ج٢: ١٥٨). فى هذه السورة قد تكرر الحروف والأصوات منها أصوات المد، وحروف النون واللام والراء.

فقد ساهمت أصوات حركات الفتحة الطويلة الستة(إنّا، أنزلناه، ما، أدراك، ملائكة، فيها) فى إشاعة جو الآيات جواً موسيقيا عذباً وأشاعت أجواء من العظمة والجلال لهذه الليلة فى السورة. والشيء الذى يجلب النظر هناك كلمة إنّا مجيئها بضمير الجماعة للمتكلم الذى يعود على الله، حيث يزداد كلمه الله عظمة بسبب صوت نون الجماعة المقترنة بصوت الفتحة الطويلة فى كلمة (إنّا).

وأمّا أصوات النون واللام والراء وقد أطلق القدماء على هذه الأصوات إسم الأصوات الذلقية، وهى تشترك فى تقارب مخارجها وفى نسبة وضوحها السمعى العالى حيث تعتبر أوضح الأصوات الصامتة فى السمع ويسمّيها البعض أشباه الاصوات الصائتة(عبدالجليل، ١٩٨٨م: ١٧٣)؛ لأنها تشبه الحركات فى وضوحها السمعى.

واللام صوت مجهور ذو وضوح سمعى وهى «من حروف مذلقه ... وهى أخف الحروف على اللسان وأحسنها إنشراحا»(القيسى، لا.ت:١١٠-١١١) وتكرار هذا الصوت(١٩مرة) هو من أسباب ذلك التمييز الموسيقى التى تتصف به سورة القدر. نجد لتردد اللام تسعة عشر مرات فى هذه السورة العذوبة فى النطق والوضوح فى الصوت:

﴿إنّاانزلناهفى ليلة القدر* وماادرئك ماليلة القدر* ليلة القدر خيرمن ألف شهر* تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر* سلام هى حتى مطلع الفجر﴾

فقد جعل صوت اللام الذى تردد فى الآية ايقاع الآيه فى غاية انسجام، ونحن نقرأها بكل سلاسة وكل كلمة فيها- تقريباً - ترتبط بما قبلها وبما بعدها برابط من صوت اللام، فى الكلمات: أنزلنا، ليلة، القدر، ألف، تنزل، الملائكة، كل، سلام، مطلع.

وأمّا إن لصوت النون الواضح السمع، أثراً فى حسم الموقف بوضوح وجلاء لصالح الحق الثابت، فقال الله تعالى: ﴿إنّاأنزلناهفى ليلة القدر﴾ فالله هو وحده أنزل القران والكل راجع إليه، وفى هذا التعبير الجزل القوى يتكلم الله- سبحانه- بضمير الجماعة المشعر بالعظمة والكبرياء ليحسم النهاية بهذه السورة التى ليس للبشر فيها لا حول ولا قوة. وقد تكرر هذه الحرف عشر مرات ليزيد على نغم الموسيقى فيها.

أما صوت الراء تميّز بأنه صوت تكرارى والتكرير صفة قوة و«منها المكرر وهو حرف شديد»(سيبويه، ١٩٨٨: ٤٣٥)؛ بحيث ساهم تردد صوت الراء فى إفشاء هذا القدر وعظمتها كما نشأ من تكرار صوت الراء، إيقاع منسجم، والإنتقالات سريعة مسلسلة بين

الكلمات، سببها طريقة حدوث هذا الصوت وهذا ما يتذوقه القارئ باستمتاع حين يكرر تلاوة هذه السورة لعدة مرات دون أن يستثقل هذا التكرار أو يتعثر فيه.

المستوى الدلالى

تبدو العلاقة الواضحة بين جانبى الدلالة والصوت، فهما يتكاملان معا ويتطابقان فى السورة؛ فبعض الدلالات تستدعى نوعاً معينا من الأصوات كما أن بعض الأصوات كانت تعبر عن نوع معين من الدلالات، «على أن هناک نوعين من النسيج الصوتى والآخر هو النسيج الدلالى وهما لا يحتاجان عادة إلى التطابق سوى فى الأدب»(صلاح فضل، ١٩٩٢: ٩٣). وتعتبر الكلمات والألفاظ من الأهمية بمكان فى دراسة النصوص، لأنها تمثل الوحدات الصغرى التى يتشكل منها النص.

وللألفاظ فى القرآن الكريم مكانة خاصة، إذ هى تنفرد عن غيرها بدقة متناهية وهى تنسجم مع السياق الذى ترد فيه، بحيث لو إستبدل بكلمة ما كلمة أخرى لاختّل المعنى وانتفض التعبير لذا فإن ألفاظ القرآن تقع «ضمن الأسلوب البيانى الرائع ونعتقد مؤمنين أن كل لفظ فى القرآن له معنى قائم بذاته وفيه إشعاع نورانى يتضافر مع جملته»(ابوزهره، ١٩٧٠م: ١٠٤).

لا يعنى البحث فى المستوى الدلالى إننا سنبحث فى معانى الألفاظ مستقلة عن سياقها الذى وردت فيه، لأن اللفظ فى حد ذاتها لا قيمة لها وإنما تستمد قيمتها من السياق الذى ترد فيه، فهو الذى يمنحها دلالتها المتميزة من خلال موقعها فى النص وعلاقتها ببقية عناصر الجمله. يقدم السياق العون لنا فى تحديد المعانى والدلالات المقصودة.

القدر

يختار القرآن الكريم الكلمة المناسبة للسياق بدقة وعناية فيتجه نتيجة ذلک أن تؤثر فى السامع وتترک واقعاً تحت وقع معناها وظلال دلالتها، و مثال ذلک كلمه "القدر" فى إسم السورة وكذلک استعماله فى آياتها. جاءت هذه السورة وآياتها فى سياق عظمة هذا الليل ونزول القرآن. لذلک القدر الذى عرفت الليلة بالإضافة إليه هو بمعنى الشرف والفضل كما

قال تعالى فى سورة الدخان ﴿إنّاأنزلناهفى ليلة مباركة﴾ أى ليلة القدر والشرف عند الله(ابن عاشور،١٩٨٤م: ج٣٠: ٤٠٣). ولنتأمل فى التأثير الذى يتركه كلمة «القدر» فى آلاية التى يشعر السامعين بأن هذه الليلة، ليلة عظيمة وليلة شرف وأنها تحفل بالمعنى الشرافة والقدر. وتدل كلمة القدر على التكرار مفهوم ومعنا. أمّا إذا انتقلنا إلى الوزن الصرفى فإننا سنجده على وزن فَعْل الذى هو أحد أوزان الصفة المشبهة، ويشير هذا الوزن إلى الصفات الدائمة فى الإنسان وغيره، وهذا يتطابق مع خلود ليلة القدر.

سلام

السلام مصدر أو إسم مصدر معناه السلامة كما قال الله تعالى:

﴿قلنايانار كونى بردا وسلاما﴾(الأنبياء/ ٦٩)

ويطلق السلام على التحية والمدحة وفسّر السلام بالخير والمعنيان حاصل فى هذه الآية. ففى الكلمة طاقات تعبيرية، إذ نلمس فيها معنى كل خير وسلامة وبركة وكما أنّ لفظ السلامة له علاقة باسم السورة التى تدل على التقدير، ولأجل ذا يكتب الله تقدير البشر فى هذه الليلة على أساس السلامة والخير والغفران. فإنّ إختيار لفظ "سلامة" يستحضر فى الذهن كل تلك المعانى الايجابية والمحمودة التى له علاقات بمعناه ويطلق *سوسور* «على هذه العلاقات اسم العلاقات الايحائية»(صلاح فضل، ١٩٩٨م: ٢٧).

فالسلامة تشمل كل خير لأن الخير سلامة من الشر ومن الأذى فيشمل السلام الغفران واجزال الثواب واستجابة الدعاء بخير الدنيا والآخرة. فقال *ابن عاشور*: «جاء سلام منكرا للتعظيم أخبر عن الله بأنها سلام للمبالغة لأنّه إخبار بالمصدر»(١٩٨٤م، ج٣٠: ٤١٠).

ألف

ومن الأمثلة التى تدل على دقة المعانى التى تؤديها ألفاظ السورة كلمة "ألف" فى قوله تعالى: «ليلة القدر خير من ألف شهر» فهو تدلّ على الكثرة واللانهاية. كما يوجد فى القرآن الكريم أرقام تدل على الكثرة نحو: ٢،٧،٧٠،١٠٠٠.

تنزّل وإنزال

إستخدم فعل مضارع تنزّل فى الآية ﴿تنزّل الملائكة والروح فيهابإذن ربّهم من كل أمر﴾ على زنة تفعّل وهو يدلّ على التدريج. والفعل هنا يدل على نزول القرآن تدريجا. وفعل أنزلناه

تدلّ على نزول القرآن دفعة واحدة من باب إفعال. وكل ذلک یدل أن الله أراد أن یشیر إلی نزول القرآن مرتین بصورتین تدریجاً ودفعة.

کل

وهو مستعملة فی معنی الکثرة للأهمیة أی فی أمور کثیرة عظیمة- نحو قوله تعالی- «ولو جاءتهم کل آیة»(ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٣٠: ٤٠٩) ونجد الترابط بین الألفاظ ألف، کل، سلام، من حیث معانیهم ودلالاتهم، لأنّ کلهم جاءت بصورة منکرة لیدل علی العموم والکثرة.

المستوی الترکیبی

التکرار

شکل من أشکال إطناب فی علم المعانی فی البلاغة العربیة وفی النحو العربی یعد التکرار ضرباً من ضروب التوکید اللفظی.

التکرار اللفظی فی إصطلاح علماء البلاغة إعادة الکلمة بلفظها ومعناها فی القول مرتین فصاعدا لنکتة وهو إعادة العنصر المعجمی نفسه بتعبیر علم اللسانیات النصیة. رصد *إبن رشیق* للتکرار اللفظی عدة وظائف منها: «التوکید، زیادة التنبیه، الوعد والوعید، التوجع، الهجاء، والتهکم والتفخیم والتعظیم والتشویق والتلذذ بذکر المکرر والتوبیخ»(ابن رشیق، ١٩٨١م، ج٢: ٧٤-٧٦) وتنبّه علم النفس علی أهمیة الأثر الذی یولده أسلوب التکرار فی متلقیه، کما یقول *الدکتور مصطفی فهمی* فی کتابه«الدوافع النفسیة»: «إنّه متی کثر تکرار امر، تولد تیار فکری وعاطفی یتلوه ذلک المؤثر العظیم فی الأفراد والجماعات هو العدوی، إذ لا یکفی لتحول الإنفعال إلی عاطفة أن یحدث مرة واحدة ولکن لابد لحصول ذلک أن یتکرر حدوثه، فالتکرار هو السبیل الوحیدة لربط الإنفعال به، وترکزه حوله، إلی جانب ما یثیره من إنفعالات أخری تدخل فی ترکیب العاطفة»(مصطفی فهمی، ١٩٦٠م: ١٠١).

تکررت بعض الألفاظ فی هذه السورة وکان لتکرارها أثر فی رسم المعالم البارزه للسورة وتحدید مضامینها ولنتأمل- بدایة- فی اللفظ «لیلة القدر» الذی تکرر فی السورة ثلاث مرات بشکل إسم، ومرة واحدة بشکل الضمیر الذی یعود إلیه. ﴿انّا أنزلناه فی لیلة القدر، وما

أدرئك ماليلة القدر﴾ ثم قال ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ فصرّح به وكان حقه الكناية رفعا لمنزلتها، فإن الإسم قد يذكر بالتصريح فى موضع الكناية تعظيما وتخويفا(الكرمانى، لا.ت: ٢٥٢).

تكرر الليلة على صورة الظاهر والمضمر خمس مرات تدل على عظمة هذه الليلة وشرافتها. والله تعالى استطاع أن تستخدم الليلة على شكل الضمير ولكنه فقد صرح باسمها للتلذذ. من أساليب الأخرى للتكرار يكون ذكر خاص بعد عام كما فعل الله تعالى فى الآية: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر﴾ تدل لفظ الملائكة بشكل عام وجبرائيل منهم، ثم استفاد الروح وهو إسم خاص لجبرائيل بعده لأنّ الجبرائيل هى من الملائكة.

ومن أمثلة التكرار كلمة القدر، الذى تكرر فى ختام الآيات لكى تدل على أهميه تكراره وتأكيده فى نفوس السامعين لكى تنبّهوا بهذه الليلة ومنزلتها عند الله تعالى. وأشاع تكرارها الإحساس بعظمة الخالق وبقدرته التى ليس لها حد وبإرادته الغلابة وقضائه المبرم الذى لا يرد ولا يدفع.

التعريف والتنكير

يعدا اسلوبا التعريف والتنكير من ظواهر الأسلوبيه فى هذه السورة وهما من الأساليب البلاغية التى تقتضيها أحوال المخاطبين ومقامات الخطاب، و يقصدها المتكلم ليعبر عن معنى يريده وينسجم مع ما فى نفسه من المشاعر والأفكار.

التنكير

أفاد التنكير فى السورة أغراضا بلاغية عديدة دلّ عليها سياق الآيات،كالتعظيم والتكثير والدلالة على العموم. من أمثلة التنكير لفظ «سلام» فى الآية ﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾ كما أشار سابقا، جاءت منكرة للتعظيم. كما جاء كلمة "أمر" فى ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر﴾ منكرة لتدل على خير كثير والشامل. كما قال *ابن عاشور* تنوين فى كلمة "أمر" للتعظيم أى بأنواع الثواب على الإعمال فى تلك الليلة(١٩٨٤م، ج ٣٠: ٤٠٩).

التعريف

تأتى المعرفة بخلاف النكرة «فهى ما دلّت على شيء بعينه»(العلوى، ١٩٩٥م: ٢٠٨) والمعارف فى العربيه تنقسم إلى ستة أقسام وهى تختلف بينها من حيث خصوصية كل منها فى الإستعمال ودواعى الاستخدام فإنّ لكل أداة من أدوات التعريف طمعاً ومذاقا يختلف عن الآخر، والذى يحدد الاختلاف ثقل الكلمة، مكانها وقيمتها عند المخاطب(السلطان، ١٩٩٣م: ٣٧).

التعريف بالإضمار

يعد الإختصار وعدم الحاجة إلى التكرر من فوائد التعريف بالإضمار، حيث تستبدل الضمائر بالكلمات الظاهرة ومن أمثلة ذلک فى السورة، الضمير "ه" فى قوله تعالى: ﴿إنّا أنزلناه‌فی‌لیلة‌القدر﴾ نفهم من السياق أن ضميره يرجع إلى القرآن و فيه إحالة إلى مرجع متصيد. كما نرى فى سوره هود، آية ۴۴ يقول الله تعالى: ﴿استوت‌علی‌الجودی﴾ ونفهم من خلال السياق أنّ الضمير يرجع إلى الفلک. وكما يقول *الطبرسی*(١٣٥۶ش، ج۵: ١٩٢) الهاء كناية عن القرآن وإن لم يجر له ذكر لأنه، لا يشتبه الحال فيه «فى ليلة القدر». «وفيه العظمة وإسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن وفى الإتيان بالضمير القرآن دون الإسم الظاهر ايماء إلى أنّه حاضر فى أذهان المسلمين لشدة إقبالهم عليه فكون الضمير دون سبق معاد ايماء إلى شهرته بينهم. ويجوز أن يكون الضمير عائداً على المقدار الذى أنزل فى تلک الليلة وهى الآيات خمس من سوره العلق فان كل جزء من القرآن يسمى قرآنا. وقيل أطلق ضمير القرآن على بعضه مجاز بعلاقة البعضية»(ابن عاشور،١٩٨۴م، ج٣٠: ۴٠٢). ومن أمثله ضمير "ها " فى قوله تعالى ﴿تنزّل‌الملائکة‌والروح‌فیها‌باذن‌ربّهم‌من کل‌أمر﴾ التى يعود إلى ليلة القدر. فمرجعية الضمير حققت التماسک بين جملتين «فالضمائر تحقق التماسک والايجاز»(صبحى ابراهيم الفقى، ٢٠٠٠م، ج١: ١۶٢).

الانتقال بين الضمائر(الالتفات)

يجىء الإلتفات فى الكلام لتحقيق فائدة عامة وفوائد يقتضيها المقام، أمّا الفائدة العامة فتمثّل فى كونه «ايقاظا للسامع عن الغفلة وتطيبا له بنقله من الخطاب إلى آخر، فإنّ السامع ربما ملّ من إسلوب فينقله إلى أسلوب آخر»(العلوى، ١٩٩٥م: ٢۶۶). ورد الإلتفات بالإنتقال من المتكلم فى قول الله تعالى ﴿إنّا‌انزلناه‌فی‌لیلة‌القدر﴾ إلى الخطاب فى قوله ﴿وما

أدرئك ماليلة القدر﴾ مشعراً بالتحول فی أسلوب كلام الله- سبحانه- نحو الرسول لدلالة إلی الرسول ومكانته عند الله تعالی.

التعريف بـ"ال"

تعدد أغراض التعريف ب(ال) حسب نوعها (ال العهدية، ال الجنسية). ومن المعانی التی إفادتها (ال) الجنسية فی القدر تعريف للجنس، ولم يقل فی ليله قدرٍ بالتنكير لأنّه قصد جعل هذا المركب بمنزلة العلم لتلك الليلة كالعلم بالغلبة؛ لأنّ تعريف المضاف إليه باللام مع تعريف المضاف بالإضافة أوغل فی جعل ذلك المركب لقباً لاجتماع تعريفين فيه(ابن عاشور،١٩٨٦، ج ٣٠: ٤٠٣). كما تدل (ال) فيه علی أنّه شیء معلوم وعظيم. أمّا (ال) العهد الذهنی فمن أمثلته (الملائكة) و(الروح) و(الفجر) وكلّهم معلوم فی الذهن المتلقی والمتكلم.

التعريف بالاضافة

دلت الإضافة علی العديد من المعانی ومنها التعظيم وظهر غرض التعظيم- واضحا- فی قوله تعالی: ﴿إنّا أنزلناه فی ليلة القدر، وما أدرئك ماليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ وليلة مضاف إلی القدر تفخيم لشأن هذه الليلة وعظمتها.

التقديم والتأخير

تكمن وراء تقديم الألفاظ وتأخيرها معان بلاغية مهمة ولفتات جمالية بارزة، فباب التقديم والتأخير- كما يقول *الجرجانی*- «كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية ولايزال يفترّ لک عن بديعة ويفضی بک إلی لطيفة ولاتزال ترى شعراً يروقک مسمعه ويلطف لديک موقعه؛ ثم تنظر فتجد سبب أن راقک ولطف عندک إن قدم فيه سیء وحُول اللفظ عن مكان إلی مكان»(جرجانی، ١٩٩٨م: ٨٣). مثال ذلک تقديم مسند وهو «سلام» علی مسند إليه لإفادة الإختصاص أی ما هی إلا سلام.

والقصر الإدعائی لعدم الإعتداد بما يحصل فيها لغير الضمير القائمين. «ويجوز أن يراد بالمصدر الأمر والتقدير سلموا سلاما فالمصدر بدل من الفعل، وعدل عن نصبه إلی الرفع لتفيد التمكن مثل قوله تعالی ﴿قالواسلاماقال سلام﴾(الذاريات/٢٥) والمعنی إجعلوا سلاما بينكم أی لا نزاع ولا خصام»(ابن عاشور،١٩٨٤م، ج ٣٠: ٤١٠). تقديم خبر «*سلام* هی

حتّى *مطلع الفجر*» تدل على الحصر. وقال *قطرب*: «معناه هى سلام من كل أمر» ويلزم على قول *قطرب* أن يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدرى أى هو سلام عليه، وقد عرضنا امتناع جواز تقديم صلة الموصول أو شيء منها عليه، والجواب أنّ سلاما فى الأصل لعمرى مصدر فأمّا هنا فإنّه موضوع إسم الفاعل الذى هو سالمة أو مسلمة فكأنّه قال من كل أمر سالمة أو مسلمة هى سالمة أو سليمة منه»(طبرسى، ١٣٥٦ش، ج٥: ١٩١). ويمكن أن يكون ﴿سلام هى حتّى مطلع الفجر﴾ بمنزلة إحتراس لبيان المضمون من كل أمر لأنّ تنزل الملائكة يكون للخير ويكون للشر لعقاب مكذبى الرسل. قال تعالى: ﴿ماتنزّل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين﴾ و جمع بين إنزالهم للخير والشر «فاخبر هنا أن تنزل الملائكة ليلة القدر لتنفيذ أمر الخير المسلمين الذين حاموا رمضان وقاموا اليلة القدر فهذه بشارة»(ابن عاشور،١٩٨٤م، ج٣٠: ٤٠٩).

الإستفهام

يعد شكلاً من أشكال التنوع فى الأساليب والإنتقال من الخبر إلى الإنشاء كما أنّه يدفع المخاطبين إلى التفكر والتأمل. ورد الاستفهام فى السورة مرة واحدة باسلوب "ما" ﴿وما ادرئك ما ليلة القدر﴾ والاستفهام هنا خرج عن معنى الأصلى إلى معنى الثانوية تعظيما لشأن هذه الليلة، وتنبيها لعظم قدرها وشرف محلها و«كأنه قال وما أدراك يا محمّد ما خطر ليلة القدر وما حرمتها وهذا حث على عبادة فيها»(طبرسى، ١٣٥٦ش، ج٥: ١٩٦)؛ ثم تأكد الله تعالى لرفع الإبهام بقوله ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ بواسطة عدم العطف ليبين كمال اتصال فى هاتين الآيتين وهو من موارد التأكيد. قال صاحب «تحرير»: «فلذلک فصلت الجمله لأنها استئناف بيانى أو لأنها كعطف بيان»(ابن عاشور،١٩٨٤م، ج٣٠: ٤٠٦).

نتيجة البحث

وبعد هذه يمكن أن نلخص أهم ما توصلنا إليه ونجمله بالآتى: للتعبير القرآنى أسلوب فريد يختلف عن الأساليب المعروفة فى إيراد المعنى ومنها المستوى الصوتى؛ فقد ساهم مساهمة فعّالة فى إيضاح المعنى من خلال جرس الحروف والفاصلة القرآنية، والموازنات الصوتية. ساهم المستوى الصوتى فى تحديد دلالات النص القرآنى من خلال معرفة البنية،

وما تحمله من معانٍ مختلفة يحددها أسلوب الخطاب والقرائن الدلالية الأخرى كما وجدنا ذلک فى تكرار حرف الراء والموسيقى النابعة منها. أمّا للدلالات اللغوية فى سورة القدر فلها دور واضح فى توصيل المعنى كما نجد ذلک فى دلالة القدر، ألف، ليل. كما نجد للدلالة التركيبية الأثر الواضح فى إيراد المعنى الذى هزّ النفوس قبل العقول. وهذه أهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث المتواضع. وكما نجد الجمل الاسمية فى هذه السورة مكتنزة بالدلالات التى تصب لخدمة مكانة ليلة القدر.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

ابن عاشور، محمد الطاهر. ۱۹۸۴م، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر.

تمام، حسان. ۱۹۹۳م، **البيان فی روائع القرآن**، ط۱، القاهرة: عالم الكتب.

جبر، محمد عبدالله. ۱۹۸۸م، **الأسلوب والنحو؛ دراسة التطبيقية فی علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية**، ط۱، دار الدعوة للطبع والنشر.

الحسن بن رشيق، القيروانی. ۱۹۸۱م، **العمدة فی محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محی‌الدين عبدالحميد، بيروت: دار الجيل.

الخفاجی، محمد عبدالمنعم ومحمد السعدی فرهود وعبدالعزيز شرف. ۱۹۹۲م، **الأسلوبية والبيان العربی**، ط۱، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

الرافعی، مصطفی صادق. ۱۹۹۷م، **إعجاز القرآن وبلاغة البنيوية**، ط۱، القاهرة: دار المنار.

السلطان، منير. ۱۹۹۳م، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، ط۲، الإسكندريه: منشاة المعارف.

سيد قطب. ۱۹۸۳م، **التصوير الفنی فی القرآن**. ط۸، القاهرة: دار الشروق.

الطبرسی، الفضل بن حسن. ۱۳۵۶ش، **مجمع البيان فی التفسير القرآن**، قم: منشورات آيت الله العظمی المرعشی النجفی.

عباس، حسن. ۱۹۹۸م، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

عبدالجليل، عبدالقادر. ۱۹۸۸م، **الأصوات اللغوية**، ط۱، دار صفاء للنشر والتوزيع.

فضل، صلاح. ۱۹۹۲م، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.

القيسی، أبو محمد مكی بن أبی طالب. لا تا، **الرعاية**، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية.

ليونز، جون. ۱۹۹۵م، **نظرية تشومسكی اللغوية**، ترجمة حلمی خليل، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

مفتاح، محمد. ۱۹۸۴م، **فی سيمياء الشعر القديم**، دراسة نظرية وتطبيقية، الدار الثقافة- الدار البيضاء.

مونينيه، جورج. ۲۰۰۶م، **الأسلوبية**، ترجمة بسام بركة، ط۲، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

المقالات

ثائر، سمير وحسن الشمری الدجيلی وحسن عبدالهادی. ۲۰۱۰م، «**التقنيات البنيوية فی سورة القدر**»، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد ۱۸، صص۱۲۱-۱۵۲.

عودة، خليل محمد حسين. ۱۹۹۴م، «**المنهج الأسلوبی فی دراسة النص الأدبی**»، مجلة النجاح للأبحاث، نابلس، المجلد ۸، صص ۱۰۰-۱۲۰.